فراس عزيز ديب

بين «مطرقة بوتين» و«سندان ترامب».. هل يكون خطاب حالة الاتحاد الأخير لجو بايدن؟

إذا كان خطاب حالة الاتحاد في الولايات المتحدة الأميركية يشكل تقليداً سنوياً يستعرض فيه الرئيس الأميركي إنجازاته خلال العام المنصرم على كل الصعد الداخلية والخارجية، فإنّ خطاب حالة الاتحاد خلال السنة الانتخابية غالباً ما يكون فرصة للرئيس لتحقيق نقاط إضافية على خصومه المباشرين، أو تحقيق نقاط إضافية لمصلحة حزبه ومرشحهم في حال كان الرئيس قد أنهى ولايتين دستوريتين ولم يعد بإمكانه الترشح.

على هذه القاعدة جاء خطاب الرئيس الأميركي جو بايدن نهاية الأسبوع وقبل ستة أشهر من الانتخابات الرئاسية القادمة ليشكل فرصة كبيرة للرئيس للخروج من حالة الظهور التقليدي التي يبدو فيها وكأنه مصاب بالخرف إن كان نتيجة لبعض تصريحاته المتناقضة أو حركاته الغريبة التي لفظتها الكاميرات، إلى مظهر الرشح القادم بقوة ليستعيد ما خسره من نقاط نتيجة لعامل السن أو لمرض أمام خصم منتظر هو الرئيس السابق دونالد ترامب الذي يتمتع بالكاريزما والوضوح والشعبية الكبيرة، عامل السن والوهن هذا حاول بايدن فعلياً استثماره كنقاط مضاعفة في مصلحته بنهاية الخطاب عندما رد على منتقدي ترشّحه بهذا العمر المتقدم بالقول: «إن سنواتي الطويلة هذه أكسبتني الكثير من الخبرة وجعلتني أرى الأمور بشكل مختلف». لا نعرف حقاً ما الاختلاف الذي يعيشه بايدن وهو يرى مثلاً المجازر المتنقلة في فلسطين المحتلة، فيخصص جزءاً من خطابه للدفاع عن المجرم والهموم على الضحية، لكن هذه الرومانسية من الرئيس الأميركي لم تمر مرور الكرام تحديداً من الخصم المباشر دونالد ترامب الذي انهال عليه بالسخرية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي عبر فلاتر التطبيقات، بما فيها زلة اللسان التي اعتبر من خلالها أن أسعار الدواء أفضل من مثيلتها في الولايات المتحدة الأميركية؛ هذه السخرية والسخرية المضادة دفعت الكثير من الأميركيين للقول: من يقول لهذين الكهلين: كفى؟

لا نعرف حقيقةً من سيقول لهما كفى، لكن من الواضح من خلال خطاب الرئيس بايدن أن المعركة الانتخابية بدأت مبكرة جداً حديها الرئيس بايدن باتجاهين أساسيين:

أولاً: ترامب.. والديمقراطية الأميركية، ولكي نعالج هذا الاتجاه بطريقة واقعية دعونا نتذكر أن هذا الاتجاه يفترض سؤالاً جوهرياً: من الواضح بأن الإدارة الحالية لم تكن تفضل وجود دونالد ترامب كمنافس للرئيس بايدن، هم حاولوا بكل الوسائل إعاقة هذا الترشح لكنه بات أمراً واقعاً، وهو ما جعل بايدن يتعاطى مع هذا الخطاب كرصاصة سياسية يطلقها على خصمه لأن نتائج المناظرات السياسية القادمة المباشرة لا يبدو أنها ستكون في مصلحة بايدن، الخطوة هنا ليست مرتبطة فقط بسني الرجل أو وضعه الصحي ولا بقدرته على الوقوف بعد أشهر على البقاء واقفاً حتى انتهاء المناظرة، القضية الأهم بقدرته وفق هذه الظروف على الصمود في وجه كاريزما ترامب وحججه، فمن السهل عليك أن تكيل الاتهامات في خطاب عام لكن سيكون من الصعب عليك عندما يكون مدان بن يدحضّ بشكل فوري تلك الاتهامات، بايدن مثلاً تحدث عن إنجازاته الاقتصادية بل تحدث بالحرف عن «الحسد» الذي يعاني منه هذا الاقتصاد في عهد إدارته بعد أن كان قد ورث عن الإدارة السابقة اقتصاداً متهالكاً على حد زعمه، كلام بايدن هذا تكذبه الأرقام، إذ إن «صحيفة الواشنطن بوست» نبهت قبل نهاية العام الماضي بأيام خلال تقريرها السنوي إلى درجة الخطورة التي وصل إليها الوضع الاقتصادي للولايات المتحدة خلال ثلاث سنوات من عهد الإدارة الحالية التي خلفت عجزاً قدرته الصحيفة بتريليون وسبعمئة مليار دولار بالإضافة لمعدلات التضخم غير المسبوقة التي دفعت بوكالات التصنيف الائتماني لتخفيض مستوى الولايات المتحدة من التصنيف الأعلى الذي كانت قد حصلت عليه نتيجة لإنجازات إدارة ترامب، وهو ما لم تحافظ عليه الإدارة الحالية.

أما السلاح الثاني الذي حاول من خلاله بايدن تسجيل نقاط على ترامب في خطابه الأخير فكان سلاح الديمقراطية والحريات الشخصية، علماً أن ترامب كرئيس تم انتخابه عبر القانون الانتخابي ذاته الذي جاء بايدن رئيساً، بايدن حاول إثارة الخوف عند الأميركيين من المرشح المنافس عندما اعتبر أن الديمقراطية الأميركية ستكون أمام خطر داخلي يجب الانتباه إليه في إعادة تذكير بالأحداث الدامية التي شهدتها بعض المدن الأميركية عشية إعلان نتائج الانتخابات الماضية ٢٠٢٠، التي تم اتهام ترامب بدعمها وتغذيتها تمهيداً للانقلاب على الديمقراطية. إن هذه التهم التي تم تبرئة ترامب منها، اعتدنا سماعها في إطار الحرب الإعلامية في الداخل الأميركي لكنها ليست وحيدة إذ إن هناك تهماً بأبعاد خارجية من قبيل «صديق للديكتاتوريات» وهي تهمة جاهزة يلبسها كل سياسي غربي يحاول تقديم وجهة نظر مختلفة حول طبيعة العلاقات مع الخصوم أو المنافسين أو حتى الأعداء! الواضح هنا أن بايدن حاول بالمجزرة المفتوحة في غزة لدرجة أجبرت الأميركي على الاقتناع بفكرة عدم جدوى وقف إطلاق النار قبل حلول شهر رمضان المبارك والاستعاضة عنها ببدعة بناء ميناء متنقل أمام سواحل غزة لضمان وصول المساعدات الذي قد يستغرق شهرين، ماذا ينقص الأوروبيون ليكونوا أكثر حكمة وعقلانية بالتعاطي مع الروس بعيداً عن المصالح الأميركية من بقاء حالة التوتر؟

أي مناظرة قادمة.

ثانياً: بوتين.. صداع النفوذ الأميركي، فلم يكن مفاجئاً بأن تشكل التهديدات الروسية للطموحات الأميركية بما فيها رؤية الرئيس فلاديمير بوتين لخطر السياسة الخارجية الأميركية القائمة على الحروب وإشعال النار في كل مكان، جانباً مهماً من خطاب بايدن، لكن من الواضح أن الخطاب لم يأتِ بأي جديد في هذا السياق وهذا مفهوم لأن الرواية الرسمية الأميركية لربما استنفدت كل وسائل تطويرها في هذا السياق، فالعجوز الأميركي تحدث عن استمرار المواجهة غير المباشرة في أوكرانيا عبر استمرار الدعم غير المحدود، لكنه على الأقل كان أكثر عقلانية من «المراهق الفرنسي» الذي دعا إلى إرسال قوات إلى أوكرانيا تبرأ منها حتى أقرب الحلفاء، حتى إعادة تذكير الأوروبيين بطموحات بوتين لتخويفهم ليست بالفكرة الجديدة بل هي في صلب السياسة الأميركية، إن الجديد فقط أن الأوروبيين يقدمون لنا مع كل خطاب اتحاد أميركي إثباتاً بأن التبعية للخطاب الرسمي الأميركي التي يعيشونها حتى درجة العمى السياسي تستحق فعلياً الكثير من التحليل والدراسات لمحاولة فهمها أو على الأقل لمحاولة الكف عن اتهام بعض الدول «الصغيرة» بالتبعية لهذه الدولة أو تلك بينما يقف الاتحاد الأوروبي بكامله عاجزاً عن الإجابة عن سؤال ملحّ: لماذا لا نسأل الرئيس الأميركي عن مصدر معلوماته بأن طموحات بوتين لن تقف عند حدود أوكرانيا لأنها لا يتعلم الأوروبيون من حليفهم الثاني الكيان الصهيوني؟ أم تستطيع دولة الاحتلال فرض آرائها وتجاهل كل التهديدات الأميركية بما يتعلق بالمجزرة المفتوحة في غزة لدرجة أجبرت الأميركي على الاقتناع بفكرة عدم جدوى استخدام العنف لردعهم ومفاوضتهم لإقناعهم بالعدول عن مطالبهم المتمثلة بطرد رأس الشيطان الإرهابي عن الحكم وإجهاضه التي تدعى بـ«هيئة تحرير الشام» المسيطرة على مساحة كبيرة من إدلب وتتخذ ما يسمى «حكومة الإنقاذ» وسيلة وسطية لإدارة شؤون المحافظة.

وقالت المصادر لـ«الوطن»: إن اختيار المتظاهرين وتوجيه ومعارفهم لسجون «النصرة»، والتي يسوّقها «المسالخ البشرية»، أجج من مشاعر الغضب ضد التنظيم الإرهابي ومتزعمه «الجولاني» وما يسمى «جهاز الأمن العام»، بعد سماعهم أخباراً عن فنون التعذيب في سجون التنظيم عقب الإفراج عن أعداد كبيرة من أبناء المحافظة في الآونة الأخيرة، بعدما زجوا لفترة طويلة في السجون لانتقادهم ممارسات التنظيم المدرج على قائمة الإرهاب الدولية.

وأشارت إلى خروج تظاهرات حاشدة في عشرات قرى وبلدات ومدن إدلب ورويف حلب الغربي أول من أمس عقب صلاة الجمعة، تركزت في مدن أرنب وجسر الشغور ومعارتمصرين وبنش وسرمين وسلقين ودارة عزة وبلدات تفتتاز وكفرنبل وسراقب وأطمة وأطمين وحارم وجرجناز وسلقين وأطمة وأطمين وحارم وجرجناز وسلقين وأطمة وأطمين وحارم وجرجناز وسلقين